المحاضرة الخامسة/أدب السير والمغازي.

يتكون من أخبار علمية دقيقة مضبوطة،متفرعة من علم الحديث،ولذلك نالها ما ناله من نقد وتمحيص،وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة والخيالية التي أحاكت بشخص الرسول (ص) بسبب إجلال المسلمين له،وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويروونها ويربطون بينها،مستعينين بالآيات القرآنية.

ولقد لعب هذا التيار وخاصة فرع الأيام منه،دورا هاما خاصة في الفترة المدنية من حياة الرسول (ص)التي تمتلئ بالغزوات،ويظهر هذا الدور في طريقة تناولهم لهذه الغزوات،فإنها تشبه طريقة تناول القصاص القدماء لأيام الجاهليين ،بل لعل الرسول (ص) كان يمثل في السير دور البطل في قصص الأيام الجاهلي،ونذكر إلى جانب هذا كله آثارا يهودية ومسيحية،بل آثارا فارسية ضئيلة ،وجدت أيضا في هذه السير(...).

ولكن تيار السيرة كان له صبغة علمية دقيقة في المدينة أكثر منها في أي موطن آخر، لارتباط المؤرخين فيها بالأحاديث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين،ويظهر هذا التيار العلمي الدقيق عند أبان وعروة.

أما تاريخ السير والمغزي المولود في المدينة،والمتفرع من علم الحديث فقد تأثر منه بادئ الأمر بذلك العلم،فظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه،وهما أبان وعرة،وإن لم يصر ضربة لازم بل كانا يتجاهلانه كثيرا.

وأخذت السير والمغازى تتطور سريعا،فنجد الزهري يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام،إذ يحاول الربط بين الأحاديث،بل يحاول تأليف خبر واحد من الأحاديث المختلفة بعد إدماجها،كما يحاول ألا يجعل من التاريخ وقفا على فئة معينة من الناس،وإنما ينشره للجمهور كله،هذا إلى جانب عنايته بالأنساب وخاصة أنساب قومه.

-ويشرع مؤرخو المدينة في الالتفات إلى ميادين تاريخية أخرى على يد (عروة وموسى بن عقبة).

ويمثل هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقي،الذي يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الديني عند المحدثين،وذات النموذج الملحمي عند القصاص الشعبيين،والذي يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل،وأعنى بها تاريخ الجاهلية ،وتاريخ النبوات قبل محمد (ص) وتاريخ الخلفاء بعد محمد،فمحمد بن إسحاق هو المؤرخ الذي تتمثل فيه كل التيارات التاريخية الموجودة في عصره.